

تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة وموقف التراث منه Teaching the Arabic Language for Special Purposes and the Attitude of the Heritage from it.

دكتور/ ماهر رمضان صالح¹

Mahir Ramadan Salih/ Egypt

مستشار لغوي - وزارة التربية والتعليم - مصر

دكتور/ السيد محمد سالم²

Es-sayid Mohammad Salim/ Malaysia

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - كلية اللغات والاتصال جامعة السلطان زين العابدين بتريينجانو - ماليزيا

دكتور/ أحمد علي علي لقم³

Ahmed Ali Loukam / Oman - Egypt

أستاذ اللغويات العربية المشارك

كلية العلوم الشرعية - سلطنة عمان/ جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

تاريخ الإرسال: 2018/12/13	تاريخ القبول: 2019/09/26	تاريخ النشر: 2019/12/01
---------------------------	--------------------------	-------------------------

مَلِكُ الْجَمْعِ

يعبر تعليم العربية لأغراض خاصة عن حب كبير تجاه العربية، وإرادة علمية وعملية في رفعة شأنها، والإفادة من جهود الدرس اللغوي الحديث، واللحاق بل والمنافسة في تحقيق النجاح في جعل العربية في متناول محبيها، ونحن الآن أحوج ما نكون إلى منهج تعليمي يقفز باللغة العربية في عالم التربية، يخلصها من هذه الصعوبة التي ينفر منها غير أبنائها.

ومما يلاحظ أن تعليم العربية لأغراض خاصة قد تأثر بطرق تعليم اللغات الأوربية؛ فهو تعليم وليد نحن فيه مقلدون لا مجددون؛ وهو ينطلق في الأساس من التسليم بنجاح الجهود الغربية في مجال تعليم اللغات لأغراض خاصة، والمضي قدما لاتخاذ هذا المنهج الحديث الذي حقق نتائج واقعية جديدة بالأخذ، والنفع.

ومن هنا فقد جاءت فكرة هذا البحث في إمكانية النظر إلى التراث القديم للبحث عن شيء يعضد شرعية تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة؛ ولذا فقد انبثق للبحث محوران يدور حولهما: أولهما بيان موقف التراث القديم من قضايا تعليم العربية لأغراض خاصة، والآخر: إمكانية الاقتداء بالمنهج الغربي

* أحمد علي علي لقم . loukam2009@hotmail.com

الحديث، والاعتداد بإسهاماته المباشرة في تعليمه العربية في بلاده، ومن ثم فعلينا -إذن- أن نطبق هذا النجاح في بلاد العربية نفسها.

الكلمات المفتاح : تعليم، أغراض خاصة؛ التراث، العربية؛ طرق

Abstract;

The teaching of Arabic for special purposes expresses great love for Arabic, and a scientific and practical will in promoting it, in addition to benefiting from the efforts of the modern linguistic lesson, and catching up with competition in achieving success in making Arabic accessible to its fans. Currently, we are in need for a curriculum that can take Arabic to a higher level in the world of education, and rid it from this difficulty which repels the non-natives.

It is noted that the teaching of Arabic for special purposes has been influenced by the methods of teaching European languages; it is a new education in which we are imitators and not innovators; it is based primarily on the successful recognition of Western efforts in the field of teaching languages for special purposes and moving forward to take this modern approach that achieved realistic results worth taking, and beneficial. Hence, the idea of this research is to look at the ancient heritage to find something that strengthens the legitimacy of teaching Arabic for special purposes.

Keywords: Teaching, Special Purpose, Heritage, Arabic, Methods



مقدمة

لقد استطاعت اللغة العربية أن تحظى من الناس باهتمام كبير قديما وحديثا، ولعل مرجع ذلك هو ارتباطها بدين الله تعالى، وصلتها بكتابه العظيم، وتعلق الناس في قضية (الدين) بلغته تلك؛ فقد ارتبطوا في أمور دنيوية بالعربية، وفي أمور أخروية بالعربية، حتى إنه ليتمكن تفسير عناية غير أتباع هذا الدين بلغاتهم غير العربية بأن مرد هذه العناية إنما هو التنافس مع العربية، أو لمزاحمتها، أو للصد عنها أحيانا.

ولقد كثرت الشكاوى في العصور الحديثة من صعوبة تعلم اللغة العربية، رغبة في أن يكون هو التعلم اليسير السريع النافع على نحو ما يجد الناس في لغات كبرى كالإنجليزية.

ومما هو معلوم أن قوة اللغة - أية لغة- وازدهارها، وعلوها، مرتبطة بأن تكون قوية في نفسها من حيث هي: علم منضبط، تضمن لنفسها القدرة على أن تكون لغة عالمية يمكن تعلمها، تجذب المتعلمين.

ودائما يجب التنبيه على أن الحديث عن تعليم العربية يجب أن ينطلق من الوعي بالخصائص التعليمية لهذه اللغة دون غيرها، فهي لغة دين الله تعالى؛ توقيفية، منضبطة، ثابتة، واسعة، شرعية الدلالة، مجربة في التعلم الناجح عبر قرون ممتدة. ومع هذا يجب أن نفرق بين اللغة وبين علمائها، فالجهود البشرية في تعليمها تبقى في إطارها الصحيح من حيث: الإقرار بفضل السبق، وأحقيتها في العكوف على استنباط منهجها، والسير في طريقه المستقيم، ودراسة ما فيه، ومعرفة حقوقه، وواجباتنا نحوه، من إتمام لناقص، وتفصيل لمجمل، وجمع لشتات، وتنبيه على غلط، وتصويب لخطأ، وشرح لمعلق، وكشف لمبهم..

ومن الظواهر التي كثر الحديث عنها مؤخرا - فكرة: تعليم العربية لأغراض خاصة، وهي محاولة جادة في مدى شرعية الدعوة إليها، ومدى قبولها، وجدوى العمل بها، على أن تكون اقتراحا لتيسير بعض صعوبات تعلم العربية، خاصة بعد تزايد الرغبة العالمية لدراستها، دينيا، وثقافيا، وسياسيا، وحضاريا، وتجاريا، واقتصاديا، بأن يكون تعليمها لأغراض خاصة معينة يحقق الهدف في أيسر ما يكون، وتجنبنا لما لا يحتاجه الدارس مما يثقله من تبعات تستنفد طاقات كثيرة منه، دون أن يصل إلى تحقيق كفايات التعلم المنشود.

ويصعب البحث في هذا المجال؛ لندرة الدراسات الميدانية، ولغرابة هذا المصطلح التعليمي الحديث: "تعليم العربية لأغراض خاصة"، ومن ثم يهابه الباحثون، ولا يكفي في اقتحام غماره الشذرات التي تذكر في شأنه مؤخرا. ولسنا نشغل أنفسنا بالتأريخ لظهور هذا المصطلح بأكثر من كونه لم يذكر في كتب العربية حتى مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وليس هذا الفقر في ذاته معييا، كما لا نقف عند رصد أو تتبع المحاولات القليلة، سواء كانت للتنظير أو للتطبيق، ومن الجهود الحديثة السابقة في هذا الشأن بحث: (اللغة العربية للأغراض الخاصة)، في بدايات سنة (2012م)، للكاتب: أنور الجمعاوي، من تونس، وبحث: (تعليم اللغة لأغراض خاصة: مفاهيمه ومنهجيته، المشكلة ومسوغات الحركة) للأستاذين: رشدي أحمد طعيمة، ومحمود كامل الناقه، ومما بينا فيه - أوجه الفروق بين (تعليم العربية للحياة) و(تعليمها لأغراض خاصة)، اتفقا

واختلافاً، وقد درسنا فيه الخطة التعليمية، والمهارات اللغوية، ومما يلفت الانتباه كثرة المراجع الأجنبية التي نهل منها البحث، ويمكن الرجوع في هذا البحث إلى موقع: <http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/TaalimLogha/P4.htm>.

ومن الجهود السابقة أيضاً: (اللغة العربية لأغراض خاصة، اتجاهات جديدة وتحديات): للدكتور محبوب التنقاري، من (ماليزيا)، وقد بين مدخلا تاريخيا لهذا العلم، فقالك "تضافت عوامل عدّة لنشوء مفهوم اللغة لأغراض خاصة من ذلك أن نهاية الحرب العالمية الثانية قادت الغربيين إلى الاهتمام باللغات في محاولة منهم لفهم نفسية شعوب العالم الثالث وكيف يفكرون، وما يهمنها هو النشاط اللغوي الذي قامت به فئات مختلفة من لغويين، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع مما أسفر عن مفهوم اللغة لأغراض خاصة، ثم تلت ذلك أزمة النفط في السبعينيات تلك الأزمة التي قادت إلى تدفق المعرفة ورأس المال الغربي على البلاد العربية مما أوجد ضرورة لتعليم العربية لأغراض خاصة تسد حاجات هؤلاء الفُرَجحة، أما أحدث سبتمبر 2001 م، فقد نبهت الغرب إلى بعض مواطن الخلل والقصور في دراسة اللغات الشرقية لاسيما اللغة فتوسّعوا في تعليمها لأغراض خاصة عسكرية كانت أو اقتصادية. ولا شك أن مفهوم العولمة والتجارة الحرة سيزيدان من الحاجة إلى مفهوم العربية لأغراض خاصة". كما تحدث عن خصائص المتعلم، والمعلم.

ولكننا نلتزم بخطة لهذا البحث، وهي النظر في التراث لتتعرف على تلكم السؤالات الثلاثة: "ما مدى موضوعية الدعوة إلى تعلم العربية لأغراض خاصة، وما مدى قبولها، وما جدوى العمل بها"، مع ملاحظة أن البحث يتجرد لهذه الأمور، ولا ينحصر في الماضي، بل غايتنا هي إثبات صحة هذا المنحى التعليمي، فدعو له بكل قوة، سواء وجد سابقا أم لم يوجد؛ فالحقيقة العلمية جديدة بالاتباع مئة وجدت، لا يرددها شيء، ثم نحاول أن نستنبط معالم هذا المنحى التعليمي، ونقدم للباحثين نتائج البحث في هذا المصطلح التعليمي، ونرى هل يمكن أن يتخذ منهجا، أو لا؟! وإن اتخذ؛ فما ضوابط استعماله، وما طبيعة التعامل معه، ومتى يصلح لتعليم العربية لاسيما لغير العرب. وهذا كله جعلنا نقسم البحث إلى: الفصل الأول للحديث عن شرعية ومكانة الأغراض الخاصة في تراث العملية التعليمية. والثاني للحديث عن نشوء فكرة الأغراض الخاصة وأهدافها. والثالث للحديث عن ضرورة سبق الأغراض الخاصة بتعلم المستويات الثلاثة التي سيذكرها (ابن خلدون) في تعليم العربية.

والله نسأل أن يرشد مسلكنا وأن يعيننا على الحق، وهو المستعان.

أولاً: تمهيد

إنه مما لا شك فيه - في دنيا التعليم الآن - أن تعليم اللغات للناطقين بغيرها بصفة عامة وتعليم اللغة العربية بصفة خاصة له أهداف حياتية، وأغراض وظيفية؛ وخاصةً ما يسمى حديثاً بتعليم اللغات لأغراض خاصة.

وهذا النوع من التعليم - كما هو موضح من عنوانه - يتعلق بأغراض مهنية أو علمية أو اتصالية. وهذه النوعية من التعليم كغيرها من طرق تعليم العربية للناطقين بغيرها تعتمد على المناهج المعروفة وطرق التدريس، والأنشطة اللغوية، وأساليب التقويم والوسائل التعليمية والخبرات التربوية... إلخ.

وتعليم العربية لأغراض خاصة - بلا شك - يعبر عن حب كبير تجاه العربية، وإرادة علمية وعملية في رفعة شأنها، والإفادة من جهود الدرس اللغوي الحديث، والالحاق بل والمنافسة في تحقيق النجاح في جعل العربية في متناول محبيها، لتكون قريبة المأخذ، سهلة التعلم؛ تفادياً لصعوبات كثيرة قد أشيعت عنها، حتى لقد رسخ لدى الدارسين أن العربية فقيرة إلى منهج تعليمي يقفز بها في عالم التربية، يخلصها من تلك الصعوبة التي ينفر منها متعلمها من أبنائها وغير أبنائها، أو تكلفهم جهوداً مضية تكاد لا تطاق، وليس غريباً أن يستشهدوا على هذه الصعوبة البالغة بموقف المتعلمين من أبناء العربية أنفسهم، والضيق والضحك الذي يعانون منه.

ومما يلاحظ أن تعليم العربية لأغراض خاصة قد أشيع عنه تأثره بالطرق الحديثة لتعليم اللغات الأوربية؛ ومن ثم فهو تعليم وليد أصحاب العربية فيه مقلدون لا مجددون؛ وأنه ينطلق في الأساس من التسليم بنجاح الجهود الغربية في مجال تعليم اللغات لأغراض خاصة، والمضي قدماً لاتخاذ هذا المنهج الحديث الذي حقق نتائج واقعية جدية النفع.

ومن ثم فقد قام هذا البحث للنظر في التراث العلمي القديم للعثور على شيء يعضد شرعية تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة؛ وبناء عليه فقد جاء على محورين سيدور البحث حولهما: أولهما بيان موقف التراث القديم من قضايا تعليم العربية لأغراض خاصة، والآخر: إمكانية الاقتداء بالمنهج الغربي الحديث، والاعتداد بإسهاماته المباشرة في تعليمه العربية في بلاده، ومن ثم فعلياً أن نطبق هذا النجاح في بلاد العربية نفسها.

- ومن ثم فقد رأينا أن نفرغ الطاقة - ما استطعنا إلى ذلك سبيلا - لنبين عدة أهداف:
- 1- أنه لا مانع من التسليم بأن العربية في حاجة إلى الأخذ بتعليم الأغراض الخاصة.
 - 2- أن التراث القديم ليس فيه شيء يدعو إلى الاقتصار على تعليم الأغراض الخاصة قبل إتقان الحد الأدنى من قواعد العربية، أو يسميه (ابن خلدون)¹ في مقدمته بالملكة والذوق، أو ما يمكن أن يعرف بالمستويات الثلاثة، (الحروف، والتصريف، والتأليف)، التي هي القاسم المشترك الذي لا غنى لدارس عنه، وأنه يتوقف عليه - قبل غيره - النجاح في تعلم أي غرض من أغراض التعليم. وسنخصص هذا الحد الأدنى بدراسة موجزة، بيانا لأهميته - إن شاء الله.
 - 3- أن المنهج الغربي الحديث نفسه لا يستبعد عنه أنه يسلم بأن تعليم الأغراض الخاصة لا بد أن يسبقه تكوين المتعلم في اللغة الأجنبية التي يرغب في تعلمها.
 - 4- أن التقيد بحاجة المتعلم من الأغراض الخاصة، ليس معناه أن ندخله في اللغة بعيدا عن المستوي العام، الذي يمكنه من القدرة على معرفة القواعد الأساسية التي تعينه على فهم الخصائص التعبيرية، وتوفر له جهودا كبيرة تذلله ما هو من المؤكد أن يعترض طريقه كل حين من ظواهر لغوية تكثر في العربية خاصة.

ثانيا: مسوغ الأغراض الخاصة في تعليم العربية

إن تراث تعليم العربية على رحابة أزمانه العديدة، قد حفظ لنا التاريخ الحضاري قدرته على النجاح في التعامل مع شتى أجناس البشر في الشرق والعرب، على اختلاف لغاتهم، فقد ورثنا ما يدل على إتقان الأندلسيين للعربية بفتونها، ومنافستهم للمشاركة السابقين عليهم والذين هم أساتذتهم، والحديث يطول في محاكاتهم في الشعر خاصة، وهو معروف بصعوبته عن النشر، فضلا على تعمقهم في أصعب علوم القرءان من تفسير وقرءات والفقهاء والنحو؛ حتى كان لهم موقفهم المميز في أدق مسائله الخلافية بين البصريين والكوفيين..، وما من شك في أن أغراضهم من تعلم العربية لا تبتعد عن أغراض الإنسان في دينه ودينه. وكذلك حفظ لنا التاريخ تفوق الأعاجم من الفرس وبلاد ما وراء النهر في إتقان العربية، وبروز رؤوس شوامخ من علماء اللغة من أمثال الفارابي والزمخشري، ويمكن أن نفصل هنا القول ليتبين المهتمون بالعربية من هذه الحقيقة، وهي نجاح العجم قديما في إتقان العربية كلها، فقد ذكر ابن خلدون في الفصل الثالث والأربعين من المقدمة

تحت عنوان: (حملة العلم في الإسلام أكثرهم عجم)، فقال: "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبه فهو أعجمي في لغته ومرياه ومشيوخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعته عربي". وأيا كان السبب في ذلك في رأي ابن خلدون - إلا أن الدلالة واضحة في نجاح من هم عجم في الوصول لأعلى معدل في النجاح في تعلم العربية وهي لغة أجنبية عليهم².

وقال الإمام (ابن القيم)³ ما يصلح أن يكون شاهدا في هذه الحقيقة: "وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة - عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص - صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي؛ فكان فقيه: أهل مكة عطاء بن أبي رباح، وفقه أهل اليمن طاووس، وفقه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقه أهل الكوفة إبراهيم وفقه أهل البصرة الحسن، وفقه أهل الشام مكحول، وفقه أهل خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله خصها بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع"⁴.

وتأكيدا لهذا أيضا فقد جاء في "العقد الفريد" لابن عبد ربه ما نصه: "قال لي ابن أبي ليلى، قال لي عيسى ابن موسى، وكان دينا شديدا العصبية: من كان فقيه العراق؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن، قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين؟ قال: فما هما؟ قلت: موليان. قال: فمن كان فقيه أهل مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار، قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال، قال: فمن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونجیح بن أبي نجیح، قال: فمن هؤلاء؟ قلت: موال، فتغير لونه ثم قال فمن أفقه أهل قباة؟ قلت: ربيعة الرأي، وابن الزناد، قال: فما كانا؟ قلت: من الموالي، فازيد وجهه ثم قال: فمن فقيه اليمن؟ قلت: طاووس، وابنه، وابن منبه، قال: فمن هؤلاء؟ قلت: من الموالي؟ فانتفخت أوداجه وانتصب قائما، قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني؟ قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى.. فزاد وجهه ترثيدا واسودّ اسودادا حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ قلت: مكحول، قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى، فتنفس الصعداء، ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ فوالله لولا خوفه لقلت: الحاكم بن عتبة، وحماد بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر، فقلت: إبراهيم النخعي والشعبي. قال: فما كانا؟ قلت: عريان، فقال: الله أكبر، وسكن جأشه"⁵.

ولقد جاء مثل ذلك في مناقب أبي حنيفة للمكي، في حديث جرى بين عطاء وهشام بن عبد الملك، هذا نصه: قال: "دخلت على هشام بن عبد الملك بالرصافة فقال: يا عطاء، أليس لك علم بعلماء الأمصار؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين. فقال: من فقيه أهل المدينة؟ قلت: نافع مولى ابن عمر، قال: فمن فقيه أهل مكة؟ قلت عطاء بن أبي رباح، قال: أمولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى. قال فمن فقيه أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى قال فمن فقيه أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى، قال فمن فقيه أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال مولى أم عربي؟ قلت لا بل مولى قال فمن فقيه خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى. قال فمن فقيه أهل البصرة قلت: الحسن وابن سيرين، قال: موليان أم عريبان؟ قلت: لا بل موليان، قال: فمن فقيه أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: مولى أم عربي؟ قلت: عربي قال: كادت تخرج نفسي ولا يقول واحد عربي"⁶.

فهذه النصوص وإن كانت تتحدث عن حملة العلم- إلا أنها ذات دلالة قوية لبيان أن هؤلاء الحملة لم ينالوا هذه المرتبة السنية وهم عجم، إلا لكونهم قد برعوا في تعلم وإتقان العربية في أعلى مستويات التعلم، ما يجلي للباحثين حقيقة هذا النجاح الرائد، الذي يدعو البحث للتأسي به، وانه يتكلم عن تعليمية العربية بقوة.

ولم تكن الدوافع الدينية وحدها هي السبب الدافع إلى إتقان تعلم العربية، فهذا مثال يصلح في عرف الباحثين المعاصرين أن يمثل غرضاً خاصاً من أغراض تعلم العربية، كأن يكون غرضاً ثقافياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو أدبياً..، لكنه -على كل حال- دال على الحرية في تعلمها، من منطلق التسليم بجدارتها كلغة إنسانية لكل البشر شريطة أن تتاح للناس فرصتهم في التعرف عليها في جو إنساني حر..؛ فلقد أورد (دودي)⁷ في كتابه عن الإسلام الأندلسي رسالة للكاتب الأسباني (الفارو)⁸ الذي حزن أشد الحزن لما أصاب لغة اللاتين والإغريق من إهمال وازدراء بسبب الإقبال على لغة المسلمين، قال: "إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم زين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها"، وساء ذلك معاصراً كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه فأسف لذلك مر الأسف وكتب يقول: إن إخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء

المسلمون ولا يفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح، فأين اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء؟ وأسفاه إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكاء لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية وإنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون الإصغاء إليه محتجين فإنها شيء لا يستحق منهم مؤنة الالتفات، منا للأسى! إن المسيحيين قد دنسوا لغتهم فلن تجد منهم اليوم واحدا في كل ألف يكتب بما خطابا إلى صديق أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بما على أحسن أسلوب! وقد ينظمون بما شعرا يفوق شعر العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء"⁹.

ويقول (جورج سارتون)¹⁰ في كتابه: العلوم والعمران في العصور الوسطى: "أصبحت اللغة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدن وحملت لواء التقدم الصحيح وحافظت على تفوقها واحتلالها مركز الصدارة بين جميع الألسن الأخرى إلى آخر القرن الحادي عشر على أقل تقدير... وكان كل من يريد أن يطلع في القرن الحادي عشر على أفكار عصره يضطر إلى أن يتعلم اللغة العربية أولا... ولذلك أتم أركان النهضة الأوروبية العلمية من أمثال جورج باكون فإنهم اعتنقوا الإسلام مجرد أنهم تعلموا اللغة العربية"¹¹.

ثالثا: نشوء فكرة الأغراض الخاصة وأهدافها

لقد اشتدت الحاجة في الفترة الأخيرة إلى البحث عن سبيل إلى التخلص من صعوبة تعلم العربية؛ نظرا لاتساعها وشمولها لأغراض الحياة العامة، بل وامتلاكها القدرة التعبيرية عن كل شيء مفصلا، فلجأ المختصون بتعلم وتعليم العربية للناطقين بغيرها في كثير من معاهد ومراكز وجامعات ومدارس العربية، خاصة في بلاد غير العرب - إلى البحث حتى وجدوا في نظرية "الأغراض التعليمية الخاصة" السبيل لما ينشدون، وأخذوا ينادون ويتعاونون في اتخاذها مسلكا جديدا ولونا تعليميا مستقلا ينظرون لخصائصه، ويعقدون المؤتمرات التي تدعو لها ويتلقفون البحوث التطبيقية التي تعزز هذه الدعوة، وينظرون في نتائج هذا المسلك اعتقادا منهم أنهم عثروا على أنهم اكتشفوا كنزا تربويا ثمينا يستطيعون به التخلص من عقدة صعوبة العربية، وبذلك يكون حدثا تعليميا هائلا.

ويبدو لنا - من متابعتنا لبواكير هذا الاتجاه المعاصر الذي انخرط فيه عدد غير قليل من الباحثين - أنه اتجاه قد بدأه علماء اللغات الأجنبية غير العربية، لنشر لغاتهم، والتمكن من تعلم اللغات الأخرى لأغراض كثيرة. ومن الأدلة على هذه الحقيقة ما صرح به بعض الباحثين: "وقد تعددت الجهود اللسانية في أوروبا وأمريكا لنشر اللغات الخاصة والتعريف بها، وتم تخصيص مخابر للتوليد المصطلحي والترجمة وأخرى لتحديد مفاهيم المصطلحات الجديدة ومجالها المعرفية الخاصة. كما جرى تدريس اللغات المختصة في المؤسسات التربوية والجامعية، وذلك حتى تبقى اللغة حية في أذهان الأجيال الصاعدة، مستجيبة لأسئلة الراهن وتحديات المستقبل. أما تدريس العربية للأغراض الخاصة باعتبارها لغة اقتصاد، ولغة حاسوب، ولغة فضاء، ولغة قانون، ولغة طب، ولغة كيمياء، ولغة صيدلة؛ فهو أمر يكاد يكون غائباً في العالم العربي اليوم وخاصة في دول الشمال الإفريقي، ومحاولات تعريب العلوم وتدريسها بلغة الضاد في المدرسة وفي الجامعة تكاد تكون عديمة عدا ومحاولات معدودة في سورية والسودان وعدد من دول الخليج العربي، وهي محاولات في حاجة إلى مزيد التطوير والتعميم في المنطقة العربية في ظل انتشار كاسح لظاهرة تدريس مناهج التعليم في البلاد العربية باللسان الإنجليزي أو اللسان الفرنسي، من ذلك اعتماد اللغة الأجنبية في تقاسم دروس الهندسة والفيزياء والاقتصاد والطب وعلوم الفضاء وغير ذلك من الشعب العلمية في الجامعات العربية"¹².

فهذه شهادة ميدانية من بعض الاختصاصيين في تأريخ (تعليم العربية لأغراض خاصة) المعاصر. كما يجلي هذه الحقيقة ما ذكره باحثان رائدان في هذا الميدان، هما (د. رشدي أحمد طعيمة)، و(د. محمود الناقية)؛ إذ يقولان في بيان مسوغ ظهور هذا اللون التعليمي الحديث: "يمثل تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة حركة حديثة إلى حد ما في ميدان تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. تلك الحركة التي تتميز بإعداد برنامج أو بناء منهج لتعليم العربية لجمهور خاص، ذي مواصفات معينة له حاجات لغوية محددة تفرض نفسها عند إعداد البرنامج أو المنهج. وتلزم المسؤولين باتباع منهجية علمية خاصة عند إعداد البرنامج، معتمدة على التقدير الدقيق لحاجات الدارسين، وليس على تفضيلات خاصة للمعلم أو توجهات عليا. وتنوع الجمهور سواء من حيث الدراسة الأكاديمية، أو من حيث المهنة الحالية، أو من حيث المستقبل الوظيفي، أو من حيث السلم الإداري، كل هذا التنوع يسفر عن تنوع الحاجات، ومن ثم يستلزم تنوع البرامج. ولقد

كانت المشكلة قائمة في برامج تعليم للحياة، إذ كانت تضم دارسين من جهات شتى متنوعي الاهتمامات والوظائف والقدرات. وكان الأمر يقتصر على تزويد الجميع بالمعلومات اللغوية العامة والمهارات اللازمة للاتصال بالعربية في مختلف مواقف الحياة دون التركيز على مجال تخصصي معين، إلا ما كان في برامج الثقافة العربية الإسلامية للدعاة، (وهو شكل من أشكال العربية لأغراض خاصة). بعد ذلك تترك مسؤولية الاتصال بالمادة العلمية التخصصية لمبادرات الأفراد واجتهاداتهم والوسائل المعينة المتاحة لهم. وكان لنا في ذلك العذر؛ حيث لم تكن هناك برامج معدة، ولا كتب للعربية الخاصة متوفرة، ولا معلم مؤهل، ولا بحث علمي أجري ليقطع لنا برأي في حاجات الدارسين الخاصة.. ولا غير ذلك من أساسيات إعداد برامج تعليم العربية لأغراض خاصة.

أما الآن فقد اختلف الموقف كثيرا؛ إذ طرأت متغيرات عالمية وعربية لفتت الأنظار وحولت الجهود إلى حد ما، نحو برامج تعليم العربية لأغراض خاصة نعرض أهمها فيما يلي:

1- اتساع الاهتمام بتعلم العربية وتعليمها، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا. وفي حوار مفصل شيق أجري مع جلين نوردين مساعد رئيس قسم المخابرات بمكتب مساعد وزير الدفاع الأمريكي، أجاب عن أسئلة كثيرة حول سياسة البنتاجون بعد انتهاء الحرب الباردة واستعداداً للقرن الواحد العشرين نحو تعلم وتعليم اللغات الأجنبية. سئل نوردين عدة أسئلة...
2- وليس هنا مجال لحديث تفصيلي عما دار في هذا الحوار من إجابات عن الأسئلة السابقة، ولكن الذي يهمنا هنا هو موقع اللغة العربية في هذه الخريطة، ونوع الجمهور المستهدف تعليمه هذه اللغة. أجاب نوردين عن السؤال حول أكثر اللغات الأجنبية التي يحتاج (البنتاجون) تعليمها الآن، محددًا اللغات الآتية: الروسية، تليها مباشرة اللغة العربية، فالصينية، فالكورية، فالفارسية، فالصومالية... ثم الألبانية، فالصربية / السلوفاكية، فالأردية، فالهندية.. وغيرها من لغات غرب وشرق أفريقيا.

3- أما عن أكثر الجمهور حاجة لتعلم هذه اللغات، فهو قوات الانتشار السريع وحفظ السلام، وهذا بالطبع جمهور خاص، له حاجات خاصة تضع برامج تعليمه هذه اللغات تحت نوع تعليم اللغات لأغراض خاصة، ومنها العربية - كما سبق القول - تزايد الاهتمام بالمنطقة العربية اقتصادياً، وتحول حركة العمالة الوافدة من الدول الأوروبية إلى منطقة الخليج، وتوزع الوافدين على

قطاعات عمل خاصة مثل شركات البترول، وقطاع السيارات، وقطاع الأعمال، والصحة، ووسائل الاتصال، أدى ذلك إلى انتشار الحاجة لتعلم العربية في هذه القطاعات، وطالب الوافدون في بعض هذه المجالات ببرامج خاصة تتعدى حدود العربية للحياة لأغراض خاصة. وفي مقابلة مع عدد من الأطباء الأجانب في مستشفى توام بمدينة العين (المستشفى التعليمي بكلية الطب جامعة الإمارات) عبروا عن حاجتهم لهذه البرامج وعدم حاجتهم لبرامج العربية للحياة، حيث تعلموا الكثير منها خلال وجودهم في دول عربية أخرى.

4- تحول الاهتمام من قضية التعليم إلى قضية التعلم وحفظ حق الفرد أمام تيار الجماعة. والتقدير للإنسان كإنسان، له حقوق ينبغي تلبيتها وعدم تجاهلها. ومن هذه الحقوق حقه في أن يتعلم ما يشاء، وحقه في أن يحدد مطالبه واحتياجاته، وواجب التربويين والمسؤولين في الاستجابة لها. صار المتعلم إذن هو محور الاهتمام ومركز التوجه، ومن مظاهر هذا الاهتمام تلبية حاجاته. ومن هنا بدأ التفكير في النظر لتعليم اللغة العربية لا على أنه سوق واحدة لجمهور واحد. بل هو عدة أسواق لعدة أنواع من الجمهور. وانصرف الاهتمام الآن أو كاد نحو إعداد برامج وتأليف كتب لتعليم اللغة العربية لجمهوريات مختلفة، تعليم لأبناء الجاليات العربية الإسلامية، وتعليم العربية للدبلوماسيين، وتعليم العربية للأطباء.. إلخ. وسيرد عرض لأنواع بعض البرامج الشائعة في مجال تعليم العربية لأغراض خاصة في قسم تال، إن شاء الله.

5- شعور الوافدين من غير الناطقين بالعربية للجامعات العربية، والدارسين في أقسام اللغات الشرقية، والدراسات الدينية بالجامعات الأجنبية، بأنهم ليسوا في حاجة لتعلم العربية للحياة، قدر حاجتهم لتعلم العربية لأغراض الدراسة الأكاديمية التخصصية.

6- بروز اتجاهات جديدة في الدراسات اللغوية كأثر من آثار تلبية الحاجات الخاصة لتعلم اللغة. ولقد كثرت الكتابات الآن حول تحليل الخطاب وخصائص اللغة في بعض الكتابات العلمية والأدبية، والاقتصادية، والسياسية، والإسلامية.. إلخ، وتحول الاهتمام إلى حد ما، من الحديث عن الخصائص العامة للغة العربية إلى الملامح المميزة للكتابة في مجالات خاصة¹³.

لقد استطاع د. رشدي أحمد طعيمة؛ أن يقدم في دراسة رائدة بعنوان: "تعليم اللغة لأغراض خاصة: مفاهيمه ومنهجيته المشكلة ومسوغات الحركة" - تصورا كاملا لكثير مما يتعلق بهذا المنهج التعليمي الجديد، لكن تبقى الحقيقة أن كل المراجع التي اعتمدا عليها إنما هي مراجع أجنبية

عن العربية، بما يقرر أنه منهج لا يوجد في تراث العربية التعليمي شيء عنه بهذا المفهوم. والخاصة أنه علم حديث، نشأ في ظروف وأغراض خاصة، تخضع لاتجاهات مختلفة، تؤكد لديها الرغبة في تعلم العربية¹⁴.

ونجد بسهولة دليلاً على أن تعليم الأغراض الخاصة لا مفر من أن يسبق بمستوى أساس، وهو ما عبر عنه د. طعيمة عند حديثه عن الخصائص الفرعية لبرنامج اللغة لأغراض خاصة، بقوله: "يضم البرنامج بشكل عام لطلاب المستوى المتوسط أو المتقدم. ذلك أن معظم هذه البرامج تفترض توفر خلفية لغوية أساسية عند الطالب، وإن كان يمكن استخدامه مع المبتدئين أيضاً".
ويقدم د. طعيمة مفهوم الحاجات التي هي ركيزة الانطلاق في تعليم الأغراض الخاصة للغة، فيقول: "ونحن في معرض الكلام عن تعليم اللغة، يعني الحديث عن البواعث والدوافع أو العوامل التي تولد عند الدارس إحساساً داخلياً ورغبة في تعلم لغة معينة. وفي المدخل التعليمي - تلعب الحاجات، كما سبق القول، الدور الأساسي في تحديد طبيعة منهج تعليم اللغة التخصصية، وفي تشكيل ملامحه. إن أول خطوة في أي مشروع لتدريس اللغة الأجنبية ينبغي أن تعتمد على تصميم مقرر يعكس الحاجات والمطالب اللغوية للمتعلم. وإن إغفال ذلك يقودنا إلى مشكلة نواجهها في تدريس اللغة في الفصول، حيث لا وجود لما يريد المتعلم أن يتعلمه من اللغة"¹⁵.

ولست أنكر صحة هذا الكلام، لكن أريد أن أنبه على أن حاجة المتعلم يجب ألا تعبث بأسس تعليم اللغة، وأن تحقيق حاجته ليس بالضرورة أن يكون على حساب اللغة نفسها وقواعدها التي لا يتقن شيئاً من اللغة إلا بها، فلا بد أن يبصره القائمون على المنهج التعليمي، ويأتي منها بهذا الضابط ما استطاع. كما أنني لست أملك إلا أن أوافق على التسليم بأن ثمة فوارق بين برنامج تعليم العربية للحياة وتعليمها لأغراض خاصة، وهي كما ذكرها د. طعيمة: أوجه الاختلاف من حيث: الحاجات، والمحتوى، والغرض، والانتماء لمجتمع لغوي، والجمهور المستهدف، وسياق الاستعمال، والمستمع أو المحاور، والمنهج، والمواد التعليمية، والتعامل مع النص، ومهارات الدراسة، والتقويم، ودور المعلم. لكنها اختلافات ليست كبيرة؛ إذ إن العربية للحياة، والعربية لأغراض خاصة ترتبطان وتشتركان وتتصلان بقاسم مشترك، وهو المعرفة بالأصول الأساسية للغة عامة وقواعدها في الإفهام والتفهم، أما الاختلاف بينهما، فإنه لا يعدو كونه بين مبتدئ بما يصلح أن يكون جزءاً مستقلاً وهو الأغراض الخاصة - بعد التمرس بالقواعد اللازمة،

وصولاً إلى شتى الأغراض واستكمالاً لها، وهو ما يعرف بلغة التواصل العام، أو كما يرى بعض المعاصرين، بأنها العربية للحياة، أي كلها.

ويقول الدكتور محجوب التنقاري، في مقدمة دراسة له بعنوان: "اتجاهات جديدة وتحديات": "شهد عصرنا الحالي تطورات سريعة اجتاحت كل نشاطات الحياة، فعلى صعيد النشاط اللغوي ظهرت نظريات لغوية حديثة اجتثت ما قبلها من نظريات، فظهور آراء تشومسكي انزوت النظرية السلوكية التي كانت تنادي بتفسير السلوك اللغوي اعتماداً على العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا السلوك، وحلت مكانها نظرية التركيز على الدارس وحاجاته وأغراضه من تعلم اللغة. هذا التحول قاد بدوره إلى المطالبة بتدريس اللغات لأغراض خاصة تتماشى وأغراض الدارس وحاجاته. ولا شك أن اللغات الأوربية، وبصفة خاصة اللغة الإنجليزية قد أسهمت بشكل كبير في تطوير هذا المجال. فقد اندفع الغربيون إلى وضع مناهج وأسس ونظريات تحكم تعليم لغاتهم. وأولاً عناية خاصة للناطقين بلغات أخرى، مما قاد إلى ظهور نظريات جديدة تحكم تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها، وصارت الإنجليزية مثلاً يحتذى به في هذا الميدان. وقد سارت العربية في بداية مشوارها على هذا الدرب، واستطاعت أن تضع أو تتبنى مناهج تتناسب والخصائص التي تتميز بها. ولكن المؤسف أن علماء العربية لم يتمكنوا من مواكبة الخطى السريعة في مجال تعليم اللغات للناطقين بغيرها؛ إذ انتهى بهم المطاف عند اللغة العامة، ولم يستفيدوا من التجارب الثرة التي خلفها علماء الدين الإسلامي منذ فجر الدعوة الإسلامية في تحفيظ القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية، وإيصال المفاهيم الفقهية"¹⁶.

ويذكر تحت عنوان: "مدخل تاريخي"، فيقول: "تضافرت عوامل عدّة لنشوء مفهوم اللغة لأغراض خاصة من ذلك أن نهاية الحرب العالمية الثانية قادت الغربيين إلى الاهتمام باللغات في محاولة منهم لفهم نفسية شعوب العالم الثالث وكيف يفكرون، وما يهمننا هو النشاط اللغوي الذي قامت به فئات مختلفة من لغويين، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع مما أسفر عن مفهوم اللغة لأغراض خاصة، ثم تلت ذلك أزمة النفط في السبعينيات تلك الأزمة التي قادت إلى تدفق المعرفة ورأس المال الغربي على البلاد العربية مما أوجد ضرورة لتعليم العربية لأغراض خاصة تسد حاجات هؤلاء الفُرَنجة، أما أحدث سبتمبر 2001 م، فقد نبهت الغرب إلى بعض مواطن الخلل والقصور في دراسة اللغات الشرقية لا سيما اللغة فتوسّعوا في تعليمها لأغراض خاصة عسكرية كانت أو

اقتصادية. ولا شك أن مفهوم العولمة والتجارة الحرة سيزيدان من الحاجة إلى مفهوم العربية لأغراض خاصة¹⁷.

وهذا كله يوضح الظروف التي نشأت فيها الدعوة إلى تعليم العربية لأغراض خاصة، وظهر لنا أنها ظروف لا تعد جديدة؛ لأن العربية قديما وموقف الشعوب الأجنبية عنها لم تختلف صلاتها بها كثيرا..!

رابعا: ضرورة سبق الأغراض الخاصة بتعلم المستويات الثلاثة

لقد قال ابن خلدون في الفصل الخامس والأربعين من المقدمة: "في علوم اللسان العربي أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب". ويمكن في نظرنا أن يتفرع عنها هذه المستويات الثلاث، وهي: (الحروف، والتصريف، والتأليف)، لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر، ولا يحذف منها شيء، ويجب ربطها جميعا في نسيج تعليمي واحد:

1. تعليم الحروف وأصواتها: كتابة وقراءة، وصلا ووقفًا، أصلا وفرعا، إفرادا وتركيبا، حقا ومستحقا، بحيث تتم لدى المتعلم ملكة مهارة النطق الفصيح، والرسم الصحيح، لكل ما هو مبنى عربي، بحيث ينطلق في النطق به بمقاييس علمية، دون إفراط أو تفريط، أو سرف في الوقت والجهد.

2. ثم تعليم المفردات الدالة على معنى مستقل يصلح بناؤه في شيء مفيد، ببيان المعنى والمبنى لمقتضى الحال، بحيث يستطيع بناء المفردات، ومعرفة دلالاتها، وردّها لأصولها، وتعدد فروعها، ودقة فروقها، وصلاتها بما اختلف واثتلف، وتجانس واشتبه، وتقارب وتباعدا، وتصاقب واشتراك، وتناظر وترادف، واستعمل وأهمل، وقل وكثر، واستعرب واستعجم، وما دخله اللحن، وما ألحق، وما قيس، وما استثقل، مصحوبا ببيان ما يعرف بالإعلال والإبدال؛ ليقف على جانب من براعة وفصاحة وعذوبة هذا اللغة الفريدة.

3. ثم تعليم قواعد تأليف الجملة من الكلمة والكلم والكلام المفيد إنشاء ونقدا، بمقاييس علمية تربط الكلام بمقتضاه لتظهر بلاغة المعنى، وفصاحة المبنى، وتجمع بين الإقناع، والإمتاع، بأن يستطيع الإنشاء لكل مقام، والتحليل لكل مقال، وإتقان الطرق البيانية، والتصريفات البلاغية، ولا يحدع بظاهر، ولا يشتبه عليه إعراب ما تقدم أو تأخر، ولا يغيب عنه تقدير ما يحذف، ويفض النزاع، ويفك التعانق، ويفصل التداخل، ولا يسهو عن القطع والالتفاف، ولا تضطرب

عنده الأوقاف، صار بأصول العربية خبيراً، وببلاغتها عليمًا، وبمقدرة البلغاء قويا قديرا، وبوزن ونقد الكلام العربي بصيرا.

وبهذا يستطيع الحد الأدنى للتواصل والتفاهم بين أبناء اللغة الأجنبية، أما أن يقتصر تعليمه بدءا ذا بدء على غرض خاص تُجمع له مفرداته، وتراكيبه والأساليب التي يكثر استعمالها وورودها، في موضوع كالحج، مثلا، ويكلف بأن يردد دقات صوتية، وينظر في كتل صورية، تحدث عنده انزعاجا من ظواهر كثيرة متداخلة، لا يستطيع أن يفسر منها ظاهرة، ولا أن يقف على علة ترضي عقله، ولا تشبع نهمته، وتبدو له اللغة كأنها طلاس، لا يبقى معه من بعد انقضاء الحج من اللغة إلا رسمها واسمها، دون فقه لأسرارها، ولا رغبة في متابعة أغراضها، فهو سبيل، في رأيي لا يجب في اللغة. وإنما كوننا باحثين لا يجب أن نكون طوع حاجة المتعلم بالقدر الذي يفسد عليه تعلم اللغة، ولا نستجيب له في هواه، فمثلا ربما يريد أن يقتصر على تعلم اللغة العامية في بلد ما، لغرض ما، فإننا فيما يجب علينا أن نفرق بين العربية الحقبة التي تعرف في الأوساط العلمية بأنها اللغة الأكاديمية، وبين العامية، واللهجية، وإذا وصل الأمر إلى ذلك، فإننا لسنا من الذين يوافقون على تعلمها، ولا تعليمها، ولا نشرها، حتى لو كان ذلك هو حاجة المتعلم؛ ذلك لأن العامية - في رأينا - انحرف عن الجادة، وشيء يراد ضد العربية الحقبة، أما الأغراض الخاصة التي لا ترى إلا الرغبة والحاجة في الاقتصار على العامية فهي - عندنا - ليست جدية بأن ينشغل بها محبو العربية وفرسانها، وإن انشغل بها علم اللغة الحديث في المراكز التعليمية والمعاهد الجامعية والمؤتمرات الدولية..

وقد ذكر أحد الباحثين ما يعد تأييدا لما رأينا من أنه لا بد من سبق الأغراض الخاصة بإتقان الحد الأدنى، فيقول: إن القدرة الإبداعية تتكون من ثلاث قدرات متداخلة:

- 1- القدرة اللغوية: وهي معرفة أصوات اللغة، ومفرداتها، وقواعدها الصرفية، والتركيبية.
- 2- القدرة اللسانية الاجتماعية: وهي معرفة قواعد استخدام اللغة في الحياة اليومية بطريقة المقاصد الإبداعية.
- 3- القدرة الاستراتيجية: وهي معرفة استخدام الوسائل اللغوية وغير اللغوية لضمان استمرار التواصل¹⁸.

ومما يمكن أن يكون عوناً في تيسير وتخفيف صعوبة تعلم العربية الأخذ بفكرة التعلم الذاتي كمعين للتخلص من صعوبات كثيرة في طريق تعلم وتعليم العربية، فمن المقرر أن ظروف المتعلم لا تمكنه من تلقي كل اللغة من المعلم، لذلك يكتفى بمفاتيح التعلم تيسيراً عليه في بذل الجهد، وإتاحة فرصة حقيقية للمهارات العقلية والفردية، ومن هنا فإن المنهج الإسلامي يكتفي بأن يكون المتعلم قادراً على الوصول للمعلومة اللغوية بنفسه بيسر ومتعة.

لكن العجب من أن نبالغ في تلبية حاجة المتعلم على نحو ما يقول أحد الباحثين: "نخلص إلى أن الدارس وحاجاته هما محور تعليم اللغة لأغراض خاصة. فأى منهج للغة خاصة يجب أن يسقته تحليل واستقصاءً لحاجات الدارس، فدارس اللغة الخاصة يجب ألا يُشغل بقواعد اللغة العامة، لأن تلك مرحلة يفترض أن يكون قد هضمها من قبل، وهو الآن يلهث وراء توظيف هذه المعرفة لتصبّ في خانة الحقل الذي يعمل، أو يود أن يعمل فيه. وهذا التحديد الذي يتضمنه تعريف مفهوم اللغة الخاصة ينطوي على مزايا حدّدها بعض الباحثين فيما يلي:

1- يوفر الوقت والجهد لأنه يركز على الدارس وحاجاته.

2- أكثر ملاءمة للدارسين لتناغمه مع حاجاتهم.

3- يساعد في عملية التّعليم.

4- أقلّ تكلفة من تعليم اللغة لأغراض عامة"¹⁹.

ففي ظاهر هذا الكلام أن تعليم اللغة أغراض خاصة متجردا ومنعزلا عن قواعدها الأساس هو وحده الذي يحقق هذه المزايا، والحق أن هذه مبالغة، والنتيجة من اتباع هذه الطريق خير دليل على أن الأمر بالعكس مما قال، ذلك لأن التراث القديم بمنهجه لتحقيق القاسم المشترك حريص كل الحرص على توفير الجهد لكن توفيراً رشيداً، لا يغفل عن أصول اللغة ولوازم إتقانها.

ويشند العجب، أيضاً من بعض الباحثين الذين يرون التخلص من بعض الثوابت في الحقل التعليمي، فلما لم يجد بدا من ضرورة التعرض لقواعد النحو العربي حال تعليم الأغراض الخاصة، راح يبحث عن وسيلة توفر الجهد فانظر ماذا قال: "فإذا كان الهدف العام من تدريس النحو هو التعرف على خصائص التراكيب اللغوية مما يسهل على الدارسين عملية التواصل شفاهة وكتابة، فإننا بعد الوقوف على حاجات الدارسين يجب أن نضع في الحسبان استبعاد المصطلحات النحوية؛ لأنها قد قُدمت في المستوى العام"²⁰!

ومع أن في كلامه دليلا على صحة ما أدعو إليه وأركز عليه من ضرورة إتقان القاسم المشترك من اللغة قبل الأغراض الخاصة؛ حيث يقول: "... لأنها قد قُدمت في المستوى العام؛ أي أن العام يسبق الخاص.

ومع هذا فإننا لا يمكن أن نستبعد المصطلحات النحوية، ولا أن نقلل من شأنها في الأغراض الخاصة؛ وذلك لأهميتها في إدراك المعاني، أليس هو القائل بعد: "ومما له ارتباط بطريقة التدريس ضرورة أن يعي المعلم القولة القديمة - الإعراب فرع المعنى - فالنحو ما هو إلا وسيلة لفهم غاية سامية ألا وهي فهم الأساليب والتعبير عن المعاني المختلفة"، فكيف إذن نستبعدا وهي مصطلحات الإعراب الذي هو فرع المعنى!؟.

إن جهودا طيبة بذلت في دول كثيرة وعلى رأسها دولة ماليزيا في هذا المجال في ثلاثة عقود تقريبا تنشد تقدما في مجال تعليم الأغراض الخاصة، وقد أفادت الميدان وقدمت مادة ليست قليلة في الأغراض الخاصة وتنتظر المزيد، لكن ألفتنا إلى أنه لا يمكن أن نبدأ بالأغراض الخاصة قبل إتقان القاسم المشترك من أصول وقواعد العربية، وأن نبدأ بالعام الذي هو مقدمة للخاص، وأن نعزز لدى المتعلم قوة الدافعية وقدرة التحمل في هذه العبادة الجهادية، والله المستعان.

خاتمة:

نستطيع أن نخلص مما سبق عرضه عدة نتائج ننبه عليها بقوة:

أولا: إذا كان الداعي إلى اتخاذ فكرة تعليم العربية لأغراض خاصة بما تحققه من تيسيرات تحفز المتعلم بالاختصار على تعلم مفردات موضوع ما، أو تراكيبه، سواء من جهة المبنى، أو من جهة المبنى والمعنى، ظنا من المتعلم أو من المعلم أو من المنهج الراعي للتعليم - أن هذا هو الحل لصعوبة تعلم وتعليم العربية، فهذا وهم كبير، وعمل غير مبرر علميا، ولم نرثه عن التراث التعليمي، لا نظريا ولا عمليا، إن أي غرض خاص وإن بدا في ظاهره أنه يمكن الاكتفاء به، أو أنه يصلح ليكون جزءا مستقلا من اللغة يجوز تعلمه وتعليمه سواء كان مقدما لغيره أم لا - مهما كان هذا الغرض، فإن الانشغال بهذا النوع من التعليم والتعلم، لا ينتج لنا حلا علميا يحقق هدفا منشودا.

ثانيا: وإن الحال الوحيدة التي يمكن اتخاذ هذه الطريقة حلا إنما هي أن يكون المتعلم قد أتقن قواعد صياغة المفردات والتراكيب والأساليب، وصناعة الدلالات، وسبك الأنساق التعبيرية، والمراس بملكة الفهم والتفهم، عند ذلك فحسب يمكن العكوف على الأغراض الخاصة،

والعكوف على معجمها الدلالي، ودراسته دراسة رأسية، وتنمية وتلبية ما يحتاجه ذلك الميدان التعليمي، وجمع شوارده، وإعداده حقلا تعليميا مستقلا؛ فهو اللغة كلها، وفيه الغرض الخاص معا، وبهذا نكون قد حملنا المتعلم على الالتزام بالوفاء بحق اللغة دون أن ننساق وراء هواه بالهروب من قواعد المنهج التعليمي، وفي الوقت ذاته نكون قد حققنا له جزءا حقيقيا من تعلم اللغة، وأيضا يجعله صالحا لتعلم الأغراض اللغوية الباقية التي سيجد نفسه - بعد هذا النجاح الحقيقي - قادرا على التعلم الذاتي، وراغبا في معايشة كل الأغراض بهذه اللغة الجديدة.

ثالثا: وهذا هو المسار الصحيح الذي ننصح به؛ إذ لو كان ظن المحدثين بالاختصار على تعليم الأغراض الخاصة قبل تعليم قواعد المستويات الخمسة في إنشاء الفهم والتفهم - لو كان هذا الظن صحيحا لسبقنا إليه المتعلم العجمي ولا نخذه معلمو العربية في التراث القديم؛ ولاقتدينا بهم وسرنا على نهجهم، وذلك لأننا لم نر جديدا يطرأ على حياتنا التعليمية، فمنذ القدم والعربية هي هي، والمتعلم في دوافعه التعليمية هو هو، ولذلك فهذا سبيل أهل العربية القدماء، علما بأن اللغات الأخرى حالة كونها تعلم بفكرة الأغراض الخاصة، فإنها لا تنجح إلا إذا ضمنت التمكن من إتقان القواعد العامة التي لا يستغني عنها غرض ما من الأغراض الخاصة. ونحب أن نلفت النظر إلى أن التقسيم بين أغراض عامة وأغراض خاصة في تعليم أية لغة، إنما هو تقسيم في حاجة إلى نقد علمي؛ ذلك أن علاقة الخاص بالعام هنا إنما هي علاقة بعض من كل، أما تعليم اللغة فلا يجوز - بحال - فصل أو تجزئة المبنى من المعنى، لأن هذا يفسد على المتعلم رغبته، ويشنن اهتمامه، ويشوه عنده اللغة، ويعد اعتداء على حقها، ومجافاة لأصول العلم.

هوامش:

¹ - يعد ابنُ خلدون مؤسسَ علم الاجتماع الحديث ومن علماء التاريخ والاقتصاد، متوفى (808هـ).

² - (مقدمة ابن خلدون: 290)، و(نحو وعي لغوي: ص 125)

³ - متوفى (751هـ) المشهور باسم "ابن قِيم الجوزية" أو "ابن القِيم". هو فقيه ومحدّث ومفسر وعالم مسلم مجتهد وواحد من أبرز أئمّة المذهب الحنبلي.

⁴ - (إعلام الموقعين) ج، 1 ص 18

⁵ - (العقد الفريد: ج 3/363)

6 - (الإمام أبو حنيفة)، للإمام محمد أبي زهرة، ص 17 . 18.

7 - أنقل عن موقع (المعرفة) عن: يوسف الأمير علي. "دوزي (راينهارت -) ". الموسوعة العربية. ما نصه:
"راينهارت بيتر آن دوزي (عاش: لايدن، هولندا، 21 فبراير 1820 - الإسكندرية، مصر، 29 أبريل 1883)
مستشرق هولندي بارز، اشتهر خصوصاً بأبحاثه في تاريخ العرب في إسبانيا ومعجمه «تكملة المحامع العربية»، ولد
في مدينة لايدن في هولندا وتوفي فيها، ويرجع أصل أسرته إلى هوكنو فالنسيان في فرنسا وهي أسرة أكثر رجالها
يجب الاستشراق. وله صلة قرى بالمستشرق ألبرت سخولتنس وأسرته. تعلم مبادئ العربية في المنزل ثم واصل
دراستها في جامعة لايدن على يد الأستاذ فايزر رئيس قسم المحفوظات العربية في مكتبة لايدن. وأبدى في الدراسة
تفوقاً في اللغات والآداب، وكان إلى تضلعه من اللغة العربية يكتب باللاتينية والفرنسية والإنكليزية والألمانية
والإسبانية والهولندية والإيطالية. وكان في الثانية والعشرين عندما فاز بجائزة المعهد الملكي الهولندي عن مسابقة
أجريت عام 1841، في بحث «الملابس العربية» وظهر البحث باللغة الفرنسية في 1845 بعنوان «معجم مفصل
بأسماء الملابس عند العرب» وفي الوقت عينه كتب كتابه «أخبار بني عباد» وحصل بسببه على الدكتوراه. وصار
يكتب في المجلة الآسيوية وترجم لها كتاب «تاريخ بني زيان ملوك تلمسان» نقلاً عن المصادر العربية زوده بمجاش
وتعليقات قيمة. وتآلى صدور أجزاء من كتابه «أخبار بني عباد عند الكتاب العرب» واكتملت أجزاءه الثلاثة في
1863 وبعد أوسع بحث عن بني عباد ملوك إشبيلية، استفاد في إعداده كثيراً من كتاب «الذخيرة في أخبار
الجزيرة» لابن بسام الشنتريبي كان قد وجدته في مكتبة غوته الألمانية. وأصدر دوزي في 1846 كتاب «شرح
تاريخي على قصيدة ابن عبدون» تأليف ابن بدرون مع مقدمة إضافية وتعليقات ومعجم وفهرس وهي قصيدة
تدور حول سقوط دولة بني الأفطس أمراء بطليوس. وتلا ذلك كتاب «تعليقات على بعض المخطوطات العربية»
بين عامي 1847 و 1851. ويتضمن الكتاب فصولاً مستخلصة من كتاب «الحلة السيرة» لابن الأثير تتعلق
بالتاريخ السياسي والأدبي للمسلمين في إسبانية وتراجم الأشخاص من القرن الثاني حتى القرن السادس للهجرة
يتخللها أشعار، وأعد دوزي فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة لايدن (1851)، ونشر كتاب «المعجب في
تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي على نفقة اللجنة الإنكليزية للمطبوعات الشرقية في لايدن، وقد نقله
إلى الفرنسية (فانيان) في الجزائر عام 1893. وكتب في المجلة الآسيوية «بعض الأسماء العربية» (1847) و«أدب
قشتالة» و«أمير الأمراء» (1848). المستشرق الهولندي دوزي من كبار علماء الاستشراق، عاش حياة علمية
حافلة في طلب العلم، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى وصل إلى درجة الأستاذية في جامعة لايدن، وأجاد
العديد من اللغات العالمية الحية، ومنها: اللغة العربية وأثر ذلك كله نتاجاً علمياً غزيراً متنوعاً تأليفاً، وفهرسة،
وتحقيقاً إلى جانب المؤتمرات والندوات والمحاضرات. ونشر أول مرة «البيان المغرب في أخبار المغرب» لابن عذارى
المراكشي مع مقتطفات من تاريخ عريب (ابن سعد القرطبي) وصدره بمقدمة فرنسية وذيله بمعجم وحققه على
مخطوطات بالأسكوريال (1851) وقام «فانيان» بنقل هذا الكتاب إلى الفرنسية في الجزائر في جزأين (1901-
1904) واستدرك عليه ثم صححه «ليفي بروفنسال»، ونشر الجزء الثالث منه في عام 1932. وابتداء من عام

- 1851 تفرغ دوزي لتأليف كتابه الأساسي «تاريخ المسلمين في إسبانيا من بداية فتح الأندلس إلى مجيء المرابطين»، تناول فيه الحروب الأهلية، والنصارى، والمرتدين، والخلفاء، ثم ملوك الطوائف، وترجمه إلى الإسبانية (سانتياجو) في عام 1920، وطبعه بروفنسال وصار مرجعاً، ويعد من أهم الأعمال التاريخية التي كتبها المستشرقون. ثم كتب «نظرات في تاريخ الإسلام» و«بحوث في تاريخ إسبانيا وأدائها في العصر الوسيط». وكتب «اليهود في مكة» الذي نُجِّد في هولندا وحمل عليه يهود ألمانيا حملة مريعة. عين دوزي في عام 1850 أستاذاً للتاريخ العام في جامعة لايدن، وأصدر ثبناً شارحاً للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية والعبرية والكلدانية والفارسية والتركية»، و«معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المأخوذة عن العربية» ثم كتب كتابه المهم «تكملة المعاجم العربية» في جزأين، عدا عن مقالات نقدية كثيرة تتصل بكتب ورسائل مستشرقين آخرين. ونشر دوزي وترجم أخيراً بالتعاون مع «دي خويه» كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدرسي مع تعليقات ومعجم. سيطرت على دوزي - شأنه شأن معظم المستشرقين - فكرة وأسطورة الآريين الراقية على حساب الساميين الأقل مرتبة. وكانت أعماله تحفل بالكره الغريزي للشرق والعرب والإسلام من منظور تمييزي عنصري تعصي ظهر جلياً في كتابه «تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى فتح المرابطين لها» الصادر عام 1861 وفي سائر كتاباته. المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الأندلس) دراسة تحليلية نقدية". وينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون (دار المعارف بمصر). وعبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين (دار العلم للملايين، بيروت). وإدوارد سعيد، الاستشراق (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت). وقد أردت بكثرة النقل بيان هذا العلم لموقعه!.
- 8 - أحد رجال الكنيسة من أصل يهودي يدعى (ألفارو القرطبي) كان من غلاة المتعصبين في شبه الجزيرة الأندلسية في القرن التاسع في الوثيقة المعروفة باسم «الدليل المنير».. وينظر: ليفي بروفنسال في كتابه: « حضارة العرب في أسبانية » القاهرة ١٩٣٨
- 9 - (أثر القرعان الكريم في اللغة العربية ص243)
- 10 - "جورج ألفريد ليون سارتون صيدلي ومؤرخ بلجيكي، وهو يعتبر مؤلف تاريخ العلم. وُلِدَ بمدينة خنت ببلجيكا في 31 أغسطس 1884م، وتخرّج من الجامعة في عام 1906م، وبعد سنتين استحق ميدالية ذهبية لبحث قدمه في علم الكيمياء، واستلم شهادة الدكتوراة الفلسفية في الرياضيات من جامعة (Ghent) في عام 1911م، وهو متخصص في العلوم الطبيعية والرياضيات. تزوّج من ماييل لينور وهي فنانة إنجليزية، ثم هاجر إلى إنجلترا بعد أن اندلعت الحرب العالمية الأولى، ومنها ذهب إلى الولايات المتحدة في عام 1915، حيث استقر بها لبقية حياته. عملَ لمؤسسة كارنيجي للسلام العالمي وحاضر بجامعة هارفارد 1916-1918. درس اللغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت 1931م-1932م. ألقى محاضرات حول فضل العرب على الفكر الإنساني. أصبح مُحاضر في جامعة هارفارد في 1920 وأستاذاً لتأريخ العلم من 1940-1951. كذلك هو باحث مشارك لمؤسسة كارنيجي بواشنطن 1919-1948). ينظر: (موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي)
- 11 - (المدخل إلى العربية: ص 67)

- 12 - (مقال: اللغة العربية لأغراض الخاصة: أنور الجمعاوي: تونس)
- 13 - (تعليم اللغة لأغراض خاصة: مفاهيمه ومنهجياته المشكلة ومسوغات الحركة): رشدي أحمد طعيمة، معهد الخرطوم الدولي، 2003
- 14 - السابق نفسه
- 15 - السابق نفسه
- 16 - مقال: (اللغة العربية لأغراض خاصة، اتجاهات جديدة وتحديات، د. محجوب التنقاري، مجلّة التاريخ العربي التي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 43)
- 17 - السابق نفسه
- 18 - (ينظر: جميل حسين محمد، تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية لطلاب الدراسات الإسلامية (دراسة وصفية لكيفية تصميم المناهج من منظور مركزية المتعلم)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم، 2006 منقول بواسطة: اللغة العربية لأغراض خاصة، د. محجوب التنقاري.
- 19 - السابق نفسه
- 20 - السابق نفسه